

روح المعاني

وهو داخل في عموم من يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات ولا يخرج عن العموم ارتكابه الكبيرة ومتى كان له الجنة فعي لمن آمن وارتكب الكبيرة ولم يعمل الأعمال الصالحة أيضا إذ لا قائل بالفرق فاذا قالوا : مرتكب الكبيرة على يقال له مؤمن كما لا يقال كافر لاثباتهم المنزلة بين المنزلتين فلا يدخل ذلك في العموم ابطلنا ذلك وبرهنا على حصر المكلف في المؤمن والكافر ونفي المنزلة بين الأيمان والكفر بما هو مذكور في محله .

وعلى تقدير تسليم أن من يأتيه مؤمنا الخ لا يعم مرتكب الكبيرة يقال : أن قوله تعالى فأولئك لهم الدرجات العلى يدل على حصول العفو لأصحاب الكبائر لأنه تعالى جعل الدرجات العلى وجنات عدن لمن أتى بالأيمان والأعمال الصالحة فسائر الدرجات الغير العالية والجنات لا بد أن تكون لغيرهم وما هم إلا العصاة من أهل الأيمان .

ولقد أخرج أبو داود وابن مردويه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الدرجات العلى ليأمرهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدر في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وانعما واستدل على شمول من يأتيه مؤمنا صاحب الكبيرة بقوله تعالى وذلك جزاء من تزكى بناء على ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن المراد بمن تزكى من قال لا اله إلا الله كأنه أراد من تطهر عن دنس الكفر والله تعالى أعلم .

ثم أن العاصي إذا دخل جهنم لا يكون حاله كحال المجرم الكافر إذا دخلها بل قيل : إنه يموت احتجاجا بما أخرج مسلم واحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله A خطب فأتى على هذه الآية أنه من يات الخ فقال E : أما أهلها يعني جهنم الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا بأهلها فان النار تميتهم أماته ثم يقوم الثغعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما تنبت القثاء بحميل السيل وحمل ذلك القائل تميتهم فيه على الحقيقة وجعل المصدر تأكيدا لدفع توهم المجاز كما قيل في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وذكر أن فائدة بقائهم في النار بعد أمانتهم إلى حيث شاء الله تعالى حرمانهم من الجنة تلك المدة وذلك منضم إلى عذابهم باحراق النار إياهم .

وقال بعضهم إن تميتهم مجاز والمراد أنها تجعل حالهم قريبة من حال الموتى بأن لا يكون لهم شعور تام بالعذاب ولا يسلم أن ذكر المصدر ينافي التجوز فيجوز أن يقال قتلت زيدا بالعصا قتلا والمراد ضربته ضربا شديدا ولا يصح أن يقال : المصدر لبيان النوع أي نميتهم نوعا من الاماتة لأن الاماتة لا انواع لها بل هي نوع واحد وهو ازهاق الروح ولهذا قيل : ومن

لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد واستدل المجسمة بقول سبحانه إنه من يأت ربه على ثبوت مكان له تعالى شأنه وأجيب بأن المراد من إتيانه تعالى إتيان موضع وعده D أو نحو ذلك ولقد أوحينا إلى موسى حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم بعد أن غلبت السحرة من الآيات المفصلة الظاهرة على يد موسى عليه السلام في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وكان فرعون كلما جاءت آية وعد أن يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب حتى إذا انكشف نكث فلما كملت الآيات أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ان اسر بعبادى وتصدير الجملة بالقسم لا براز كمال العناية بمضمونها .

وان إما مفسرة لما في الوحي من معنى القول وإما مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عن بني اسرائيل